

وترفق صورة من هذه الأسئلة والأجوبة مع تقرير وجيز بالقطر ميز الحامى « لمينات » القى والبراز لارسالها للتحليل . هذا مع عدم نسيان قص أظافر اليهم ، وقص جيوبه وإرسالها كذلك داخل أحرار مختومة للتحليل الكيماوى . إذ كثيراً ما تكون آثار الزرنيخ عالقة بالأظافر والجيوب . وناديت كاتب التحقيق وأمرته بتهيئة اللازم للقيام وطابت إليه الاستمارة المذكورة ألقى عليها نظرة وأندكر ما فيها . فأحضرها وأحضر معها التعليمات فقرأت ما بلى : « فقرة ١٤١ - عند إرسال الأحرار إلى القلم

الطبي الشرعى ... على النيابة أن ترسل فى آن واحد للنائب العموى ... الاستمارة الآتية بعد استيفاء جميع الخانات بالضبط :

( ١ ) تاريخ التبليغ عن الحادثة

( ٢ ) اسم المصاب وعمره وجنسيته

( ٣ ) هل كان المصاب فى صحة جيدة قبل

الاصابة ؟

( ٤ ) الأعراض التى لوحظت : كالتقيء ، الاسهال

الآلم ، العطش ، ألم الرأس ، الدوار ، فقد قوة الأطراف ، التقلصات ، النعاس ، العرق ، التيبس حالة الحذقتين ، النبض ، التنفس

( ٥ ) هل كان المصاب يشكو من مذاق خاص

فى فمه من الطعام ؟

( ٦ ) هل حصل للمصاب تخدير أو تنميل

بلسانه أو أطرافه ؟

( ٧ ) هل حصل للمصاب غيبوبة ؟

( ٨ ) هل حصل له تشنجات أو التواءات

بالفضلات ؟

( ٩ ) هل ظهرت الأعراض فجأة ؟

( ١٠ ) هل سبق أن حصل للمصاب حالة تشبه

هذه ؟



## يَوْمِيَّانَا فِي الْإِرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢١ أكتوبر ...

ما كدت هذا الصباح أرشرف فنجان القهوة على مكنتى حتى وردت إشارة تليفونية بوقوع حادثة تسمم فى دائرة المركز : امرأة تناولت من مطلقها فطيرة فظهرت عليها الأعراض ، وهى تهمه بسمها للنخالص من النفقة الشرعية . كلام موقوف . ومساءلة تستدعى التحقيق من غير شك . ولكنى من جهة أخرى أعرف قضايا التسمم . وما فيها من « قرف » خصوصاً على الصبح . وأعلم أنى سأنقل فأجد امرأة عاتمة فى بركة من القى والبراز . وكلما وجهت إليها سؤالاً تلقيت جواباً لا من الكلمات بل من الدماء . أعوذ بالله ! ولم أتمالك وأخرجت مندبلى وبصقت فيه . وجمعت أفكر فى إحالة هذه القضية على المساعد . وطلبت به بالفعل فحضر فسلمته الإشارة ، فر عليها بنظرة سريعة وصاح :

— تسمم ! وأنا عمري حققت قضايا تسمم أو

حتى حضرت تحقيق التسمم !

كلامه هو الآخر موقوف . خصوصاً التسمم . حتى أما القديم المنمرن ، لا أستطيع تحقيق هذه القضايا إلا ومضى « الاستمارة » المنصوص عنها فى تعليمات النائب العموى . هذه الاستمارة فيها أسئلة معينة بالذات لا بد من سؤالها وتلقى الجواب عنها .

وقلت المساعد أن يذهب هو لحضور التشریح وإفادتي بنتيجته بمجرد الفراغ منه . ففضى هو إلى المستشفى . ومضيت أنا إلى منزل المرأة التي أكلت الفطيرة ؛ وكان الأمر فعلاً كما توقعت : وجدت المرأة في حن الدار وحولها جارائها لم يتركن فيما يحيل إلى آنية ولا « حلة » ولا « كروانة » في الحارة إلا أنين بها ووضعها تحت فم المصابة المطروحة أرضاً تتلوى وتحشرج . ونظرت نظرة إلى كاتب التحقيق فهم منها أن يفتتح المحضر ، وتقدمت بين الأواني الملوئة حتى دنوت من المجنى عليها وسألتها :  
— اسمك وعمرك وجنسياتك ؟

فلم تجب . ولم يبد على وجهها الباهت المتقاص العضلات أنها فهمت عني . فأعدت عليها الكرة في شبه صياح ، فلم يخرج من فمها غير أنين طويل ممزوج بشروع في قء جديد . وقد أسرع بعض النسوة إليها يستندن رأسيها المائل بأكفهن ، وهن يتهامنن :

— أيوه يسبها في غلبها !  
فأجبت مؤمناً على منطقتهم وكأني أخطب نفسي :  
— والله كان بودي أن أتركها في غلبها ، لكن أعمل إيه ؟؟ قلم النائب العمومي في انتظار الاستمارة والقطرميز !

وتشجعت امرأة لسنة بين النسوة وقالت لي :  
— « من ادلعدى » حضرنك طالب تعرف اسمها ؟ اسمها نبوية

— نبوية إيه ؟  
— لا ما نعرفش غير نبوية . أهي في الحارة كئنا نقول لها تعالى يا نبوية روحى يا نبوية  
ولكن هذا لا يكفي . ولا بد من كتابة اسمها كاملاً . فتوسلت إلى النسوة أن يساعدنني على حملها على النطق دقيقه واحدة . فتكأرن عليها ورفعن

(١١) الفترة بين تماطى المادة المشتبه فيها وأول ظهور الأعراض ؟

ملاحظة — يجب ذكر تواريخ واضحة وساعات معينة عما تقدم أى أنه لا يقال مثلاً بعد اليوم الثانى بثلاث ساعات أو في يوم ( الاثنين ) بل يقال مثلاً ابتدأت الأعراض في الساعة ٤ بعد ظهر يوم ١٦ شهر كذا سنة كذا وأول ما لوحظ منها هو كذا وذلك في الساعة ٣ مساءً أو صباحاً بالضبط ...  
شئ جميل جداً !! كل هذه الأسئلة ينبغي أن تطرح على مصاب لا يعرف رأسه من رجليه . والأعجب من ذلك أن نطالبه بأن يخبرنا بأن الأعراض ابتدأت في الساعة كذا بالضبط . إذ لا ينبغي أن يقال مثلاً في يوم ( الاثنين ) . بل على هذا المصاب المسكين الفارق في متحصلات جوفه الشاعر بالدوار وفقد قوة الأطراف والتقلصات والنعاس الخ الخ . باعتراف الاستمارة ... على هذا الرجل أو هذه المرأة الفلاحة الساذجة التي لا تحمل في جيبها ساعة وربما لم تر في حياتها الساعة أن تقول لنا إن الأعراض لوحظت أول ما لوحظت في الساعة ٣ والدقيقة بالضبط !!

النهاية . قمنا نصب هذه الأسئلة على رأس المرأة المسمومة . واصطحبت معي المساعد يشاهد حتى تزول حجته في المستقبل . غير أننا ما كدنا نتحرك حتى وردت إشارة تليفونية أخرى قدمها إلى الحاجب فقات :

— نهار باين من أوله !  
وقرأت فإذا هي إخطار من المستشفى الأميرى بوفاة قمر الدولة علوان . فصحت : « مات الرجل قبل أن نعرف منه سر الموضوع » . وظللت قلماً وأشرت في الحال على ذيل الإشارة العبارة المألوفة في مثل هذه الحالة : « نأمر بتشریح الجثة » .

رأسها الذي لا يريد إلا أن يقع على صدرها وهمسن في أذنها يرجونها الكلام وإجابة البسك النياية . وبعد ساعة بالتمام حركت المصابة شففتها فاستبشرت النسوة وشجعنها رابات على كتفها :

— أيوه ... أيوه ردى علمينا يا حبيبتي !

فأمرعت أصبح قرب أذنها وقد تصبب المرق مني :

— اسمك ؟ اسمك إيه بقى ؟ ...

فأذنت وزامت وقالت في صوت خافت متهدج :

— اسمى ... نبوية

فكدت أشق ثيابي :

— مفهوم ! نبوية ! كويس خالص ! لكن

نبوية إيه ؟ امم « أبوك » إيه ؟ أنا فى عرض

« أبوك » ! نبوية إيه ؟ والسكى أخاطب وأتوسل

إلى شبه جثة . فقد انحدر رأسها وسقط على صدرها

من جديد . ولزمت الصمت إلا من ذلك الأنين

الخافت . وبلغ مني اليأس والضيق ، فصحت

في النسوة صيحة داوية فأسرعن وأنهضنها مرة

أخرى ومسحن صدغها بالماء البارد وناجيها

بالكلام المذب إلى أن ظفرنا آخر الأمر باسمها

كاملاً . ولكن بقى فى الاستمارة عشرة أسئلة !

وإذا كان ذكر الاسم على بساطته قد اقتضى هذا

المجهود ، فكيف بالباقي ؟ خصوصاً السؤال الأخير :

بيان الفترة بين تماطى المادة المشتبه فيها وأول ظهور

الأعراض ؟ مع وجوب ذكر تواريخ واضحة

ومساعات معينة كما تقول الملاحظة ! : أى أن هذه

المرأة التى لم تخرج اسمها من بين فكها إلا بعد أن

كادت تخرج أرواحنا ستقول لنا عن الساعة

والدقيقة بالضبط التى لاحظت فيها ظهور الأعراض

أول ما لاحظت ؟ شىء جميل ، أما مجنون أسأل هذه

الأسئلة ؟ أليس فى عيني نظر ؟ ماذا تظن بعقلي هؤلاء

النسوة إذا خالجنى طمع فى أن أتناق من هذه الطريقة

جواباً بالساعة والدقيقة عن الأعراض والفترة بين

تماطى المادة وظهور أول ... إلى آخر هذا الكلام

الطبوع على استمارة صنعت فوق مكاتب العاصمة

فى صفاء وهدوء بال بعيداً عن مناظر القى والاسمهال :

وأومأت إلى السكاتب أن « اقفل المحضر » وأفهمته

أن المصابة لم يمكن استجوابها واكتفينا بأخذ

« عينات » القى والبراز وقص أظافر وجيوب المتهم .

ثم عدنا إلى دار النياية حيث ارتعيت على مقعدى تمباً

أغمضت عيني قليلاً ؛ ثم فتحتها على صوت

الباب يفتح وقد دخل منه مساعدى أصفر الوجه .

فأوقفت من خمولى فى الحال وابتدرته :

— مالك ؟

— التشرح

— آه حضرت العملية ، والنتيجة ؟؟

— النتيجة أنى أنا ...

وجلس على كرسي قريب ؛ فحدثت بنظري

ملياً فى وجهه . فقهمت كل شىء . إن هذا الشاب

قد حدث له ما حدث لى يوم حضرت لأول مرة

تشرح جثة آدمية . هذا الشاب الرقيق الذى

خرج بالأمس من بين الكتب ؛ تلك الكتب التى

أرتنا وأفهمتنا أن الانسان شىء عظيم ، إنه هو

محور الكون ، وأنه المصطفى الماحوظ دون بقية

المخلوقات بمعناية الخالق الأعظم ، وأنه الكائن

النورانى الروحانى الذى سوف يبعث ؛ هذا الانسان

لم يتح الكثير من الناس أن يطلعوا على تركيبه من

الداخل ؛ فإذا ما اطلع أحدنا على ذلك سرت فى

نفسه صدمة يختلف تفسيرها باختلاف مزاج

الشخص وطبيعته وثقافته ؛ وإنى إن أنسى أبداً

يوم وقفت المرة الأولى على رأس جثة رجل أصيب

فى دماغه بمبار نارى أطلق عن قرب فكسر

الجمجمة وهتك الجدار الأيمن للأذن حتى برز جزء من جوهر المخ ؛ وحضر الطبيب للتشريح فقامت معه أشاهد ما يفعل ؛ وغادرنا الغيط الذي وقعت فيه الحادثة ، وانتقلنا إلى دار المجنى عليه ؛ وهي دار قروية متواضعة ، وجى بالقتيل بحمله أهله وقد لقوه في لحاف جديد « بيوشه » ، ومن حوله النسوة بموبلهن وصياجهن وطيهن يلطخن به وجوههن وكان ممي مأمور نشيط أمر رجاله بإخلاء المكان إلا من رجال الحفظ والطبيب وحلاق الصحة ومعاونيه ، وأنوا « بطشتين » كبيرين وضعوها تحت « دكة » عريضة من الخشب في صحن الدار ؛ ووضع الحلاق ومعاونوه الجثة فوق « الدكة » وخلعوا ملابس القتيل ، وكانت جديدة احتفالاً بعيد الفطر ، إذ وقعت الجريمة في اليوم الأخير من شهر رمضان ، كأنما أراد القاتل أن يسرع خشية أن يحمل العيد وغريمه على قيد الحياة ، وحرصاً منه على أن تكون هدية العيد تلك الرصاصة في رأس القتيل ، ورغبة منه في أن تتغير نغمة أصوات العيد وأناشيده المتصاعدة من جوف هذه الدار ، وأعمل الطبيب الشرط حالا في رأس القتيل وهو على السكاتب : — ونزعنا الفروة ( يقصد فروة الرأس طبعاً ) وعندئذ علا صياح النسوة ، وكن قد تسالطن وتساقن سطح الدار والأسطح المجاورة « المعرشة » بحطب القطن والذرة ، وسمعت بين أصواتهن المختلطة صوتاً رقيقاً حاراً مؤثراً أوجع قلمي بصبح : — يا شجرة و « مضللانا » يا بوي ! وتلاه صوت آخر في مثل وفه ولهيبه وقد امتزج بنشيج وبكاء مر :

— يا لى كنت خارج بسجورك في بطنك يابيه  
وتم نزع الفروة ، ووضع الطبيب أصبعه في فتحة الجرح يسبر غوره ويمرر حدوده ، وأملى الكاتب :

— جرح نارى طوله أربعة سيمتر . . .  
وحاول أن يثر بأصبعه على الرصاصة فلم يستطع فتناول منشاراً من المعدن من حقيبته وجعل ينشر الجمجمة من الجهة ليفتح الرأس فلم ينجح في نشرها أصلاً فآخذ مطرقة صغيرة من بين أدواته وطقق يدق بها فوق المنشار كأنما يدق على علبه « سردين » وسمعت إحدى المعجائر ذلك ورأت من فجوة السطح ذلك اللق و « الهبد » في رأس رجل العائلة وعميد الدار فوضعت كفها على خدها وقالت متهمدة :

— اسم الله عليه !

هذه الكلمة هزني . ووجدت لوقعها غرابة .  
إن تلك المعجوز ما زالت تمتدح أن رجلهن هو رجلهن بشخصيته وآدميته ، أما أنا فنذ لحظة قد بدأت أشك في ذلك

وتم نزع الغطاء أو « القراءة » ، وظهر من تحته الغلاف الرقيق الذي فوق المخ مباشرة ، فزقه الطبيب بمشرطه ، وجعل يفحص ماحول الجرح وهو على :

— تريف دموى شديد بأنسجة المخ . . .  
وجعل يبحث بأصبعه عن الرصاصة فلم يجد شيئاً . واستمر في البحث حول تلك المنطقة القريبة من الجرح فلم يثر للرصاصة على أثر . أين ذهبت إذن ؟ وليس هنالك من فتحة أخرى يظن أن المقتوف خرج منها . ولما بيأس الطبيب . وقال لى باسم : إن المقتوف الناري يتخذ أحياناً خطوط سير عجيبة في جسم المصاب وأحياناً تدخل الرصاصة من البطن فلا يثر عابها إلا في الفخذ . قد يكون هذا معقولاً . ولكن رصاصة تدخل من الرأس تستخرج من القدم ! هذا شغل « حواة » ولا أصدق أن الرصاصة لها كل هذه القدرة . واستاء الطبيب أخيراً وصاح :

— وعلى إيه ؛ أدى مخ الراجل بحاله . . .

مليا . فأتضح لنا أن الرصاصة قد تكون سقطت من نفس الجرح لاتساعه وثقلها وسقطت بسقوطه على الأرض . وفرغنا من العمل وانصرفنا وأنا أعجب لما حدث في نفسي من انقلاب . أنا الرقيق الحس أرى الجزر والتقطيع بل آثر به ولا أرتعد ! ثم أى خيبة أمل ! لقد كنت أحسب الانسان أعظم من ذلك ! كلا ، لا ينبغي أن نرى أنفسنا من الداخل . إن صورة ما رأيت لا يمكن أن تزول من مخيلتي . ولا ريب أن تلك المناظر قد أحدثت في نفس مساعدى أحداثا . وأردت أن أسأله في ذلك . ولكن الباب فتح وظهر حاجبي ومعه إشارة تليفونية فقلت :

— اللهم خيرا !

وتناولت الإشارة . وماكدت ألقى عليها نظرة حتى صحت :

— البنت ريم ؟ . . .

فأسرع مساعدى متاهفاً .

— مالها ؟

— وجدوا جثتها في الرياح قبلى البلد ؟

— وماتت ؟

قلت لك وجدوا جثتها ، خذ أقرأ الإشارة ! فأخذ المساعد الورقة وجعل يقرأ بمبنيه حتى وصل إلى آخر عبارة وهى : « ويحتمل أن يكون سبب الوفاة اسفكسيا الفرق » وقفت عيناه عليها لحظة من التأثر ، وكنت أما أشد منه حزناً على انطفاء حياة هذا الشئ الجميل بهذه السرعة

وأطرقت قليلا أفكر في سوء حظنا ، لا من حيث العمل ، ولا لأن ريم مفتاح من مفاتيح القضية ؛ بل لأنها كانت صورة بديعة هزت نفوسنا جميعاً عاقنا ومجنوننا ، ومخلوقا حلوا منحننا أويقات حلوة ولحظات مشرفة ، ونسبنا علينا هب على

وأخرج بكنا يديه كل ما في الججمة من مخ حتى أخلاها فأصبحت مثل « السلطانية » النظيفة وقسم هذا المخ أقساما أربعة أعطى كلا من معاونيه قسما وكافهم أن يبحثوا عن المقتوف بحثا جيدا فحملوا « ياغوصون » بأصابعهم في هذه المسادة التى يمزى اليها كل نبوغ الانسانية ، حتى صيروها شبه سائلة كالمهلبية ؟

هذا هو مخ الانسان !

قلت ذلك همسا لنفسي : وقد بدأ الروح الذى أخذنى أول الأمر يزول عنى شيئا فشيئا . وتصلبت أعصابى وحمد إحسامى وتيقظ في نفسى حب الاستطلاع ؛ ورغبة في أن يفتح أمامى كل هذا الجسم المسجى لأنظر فيه . وما دمت قد رأيت المخ هكذا فانز القاب ولز السكبد ولز الأحشاء . لم يعد هذا الرجل في نظرى رجلا ، إنما هو ساعة حيط كبيرة ممددة أريد أن أفتحها لأشاهد آلائها وتروسها ومجالاتها وأجرامها

ولم يجد الرجال شيئا كذلك بعد البحث الطويل . إنه لسوء حظ كما قال الطبيب ؛ ولكننا مطالبون بالنتيجة على أية حال . ها هو ذا القتل ولا بد أن تكون الرصاصة فيه . وشمر الطبيب عن مساعد الجد والضيق وأعمل الشرط في ذلك الجسد ، وأنا من خلفه أشاهد وأقول :

— اقطع ! امشط ! ...

وأخذتني حمى غريبة وفقدت كل شعور إنسانى فجاءت أقول للطبيب : أرني رثتيه ، أرني أمعاءه ، أرني الطحال الخ الخ . ولم يتردد الطبيب ، وشرط الصدر حتى أسفل البطن وأخرج القاب ثم الأمعاء وأملى :

— وجدنا القاب سليما ، والأمعاء بها طعام مهضوم ، ولم نمثر مع كل ذلك على شيء . ففكرنا

حتى سمعنا صياحا في الطريق ، فقمنا إلى النافذة ،  
فاذا بنا نرى الشيخ عصفور يجري في الطريق ،  
عاري الرأس بدون عوده الأخضر ، والصبيبة  
والفلان ، وجمع من الأهالي خلفه وهو يصيح  
كالجنون :

ورمش عينها يا ناس  
بفرش على الميـه  
واحدة بياض شفتي  
والثانية باطيه  
والثالثة من بدعها  
غرقها في الميـه ...

ونار يردد ذلك بصوت تارة كالعويل وتارة  
كالزئير ، وتارة في حركات حركات خطباء المساجد  
وهو يمشي أحيانا ويرقص أحيانا ويجري في كل  
جهة حتى اختفى عن أنظارنا ، فابتننا عند النافذة  
سامتين مأخوذتين ؛ ثم انتبهنا بعد لحظة وعندما حيث  
كنا من الحجرة ونحن نقول كمن يخاطب نفسه :  
— مسكين !

وعدت الى الاشارة ، وأمسكت بالقلم من  
جديد ، ولكن الشك والتناقض خالجانى ..  
— سمعته لما قال : « غرقها في الميـه » ! من  
الى غرقها ؟ !

فقال المساعد :

— دى « هلوسة » مجانين ! حانفتح تحقيق  
بناء على « خطرفة » رجل مخبول في الشارع ؟ !  
أظن الأحسن ندفن البنت وننتهى !  
فجاء قوله ترددى ، وضفطت على القلم ضفط  
العزم والاعتناع وخططت أمر الدفن وأنا أقول :  
— صدقت ، أنا حتى نفسي انصدت عن

القضية وأصحابها ! !

( يتبع )  
توفيق الحكيم

صحراء حياتنا العاطفية المجردة في هذا الربف القفر  
واستيقظت من تفكيرى ، ورفعت رأسى  
ومددت يدى إلى مساعدى أسترد الاشارة وأخط  
عليها العبارة المألوفة : « نأمر بتشريح الجثة » ،  
ونجأة تنهت إلى فطاعة هذه العبارة ، نعم لأول  
مرة أجدها فظيعة ، طالما شرحنا جثثا ، فليكن ،  
وإلى لعل استعداد لتشريح نصف أهالى هذه  
البلدة ، أما هذه الفتاة ... أما هذا الجلال فحرام أن  
نمزقه لنرى ما بداخله ، ولمح مساعدى نص الاشارة  
بنظرة الحاد فصاح :

— أظن ناوى تقول لى احضر التشريح

— ومين غير حضرتك ؟ !

— مستحيل ، أنا أولا كفاية على تشريح  
الصباح ! حرام ! أقعد طول النهار أشاهد فتح  
جثث ! أنا مساعد نياية مش مساعد حانوتى ! ثانيا  
البنت دى بنوع خصوصى ...  
فتأملت قوله ، وعذرته . وأطرقت لحظة  
ثم قلت :

لك حق ، ريم بنوع خصوصى ! من له  
قلب يحضر ... أنا لو دفعوا لى عشرين جنيتها ... !  
هات الاشارة نشطب على التشريح ونأمر بالدفن  
ونخلص ... !

والواقع أن فى أيدينا أن نفعل ذلك بدون أن  
نتعرض للنقد والمسئولية ، فالطبيب الذى كشف  
عن الجثة عقب استخراجها من النهر قرر أن  
الوفاة من اسفكسيا الفرق ، أى أنه لم يجد آثاراً  
مشتبهاً فيها تدل على أن الوفاة جنائية ، فاجراء  
التشريح فى هذه الحالة دقة لا مبرر لها ، آه لرجال  
الفقة والقانون أصحاب الغرض ! إنهم يستطيعون  
أن يتصرفوا على كل وجه تصرفاً منطقياً مقبولا .  
وما كدت أمسك بالقلم لأشطب الأمر السابق